بالويل والعقاب تاركها تارة فإن مدار النجاة عليها ولا فلاح لمن أخل بها
القسم الثالث والرابعة الخوض بالباطل والتكذيب بالحق فا
جتمع لهم عدم الإخلاص والإحسان والخوض بالباطل والتكذيب بالحق
واجتمع لأصحاب الإخلاص والإحسان والتصديق بالحق والتكلم به
فاستقام إخلاصهم وإحسانهم ويقينهم وكلامهم واستبدل أصحاب
الشمال بالإخلاص شركا وبالإحسان إساءة وباليقين شكا وتكذيبا
وبالكلام النافع خوضا في الباطل فلذلك لم تنفعهم شفاعة الشافعين
أي لم يكن لهم من شفيع فيهم لأن الشفاعة تنفع فيهم ولا تنفع وهذا
لما أعرضوا عن التذكرة ولم يرفعوا بها رأسا وجعلوا عن سماعها كأنهم
حمر الوحش من الأسد أو من الرماة ثم ختم السورة بأنه جمع فيها بين
شرعه وقدره وإقامة الحجة عليهم بإثبات المشيئة لهم وبيان مقتضى التوحيد
والربوبية وأن ذلك إليه لا إليهم فالأول عدله والثاني فضله فالأول
يوجب السعي والطلب والحرص على ما ينجيهم كما يفعلون ذلك في مصالح
دنياهم بلا شك والثاني يوجب الاستعانة والتوكل والتفويض والرغبة
إليه مع ذلك بيده ليسهل ويوفقهم والله المستعان وعليه التكلان

فصل ومن ذلك قوله

فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم إلى آخرها قال
مقاتل بما تبصرون من الخلق وما لا تبصرون منه وقال قتادة أقسم بالأشياء
كلها بما يبصر منها وما لا يبصر وقال الكلبي تبصرون من شيء وما لا تبصرون
من شيء وهذا أعم قسم وقع في القرآن فإنه يعم العلويات والسفليات والدنيا
والآخرة وما يرى وما لا يرى ويدخل في ذلك الملائكة كلهم والجن والإنس والعرش
والكرسي وكل مخلوق وكل ذلك من آيات قدرته وربوبيته وهو سبحانه

يصرف

يقولوا التي هي أحسن قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ونظائره فإذا بلغ
الرسول ذلك صح أن يقال قال الرسول كذا وكذا وهذا قول الرسول
أي قاله مبلغا وهذا قوله مبلغا عن مرسله ولا يجيء في شيء من ذلك
تكلم الله بكذا وكذا ولا تكلم الرسول بكذا وكذا ولا أنه بكلام رسول كريم
ولا في موضع واحد بل قيل للصديق وقد تلى آية هذا كلامك أو كلام صا
حبك فقال ليس بكلامي ولا كلام صاحبي هذا كلام الله

فصل

الأمر الثالث ما تضمنه قوله تنزيل من رب العالمين أن ربوبيته
للعالمين وكمال حكمته تأبى أن يتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يرشدهم إلى
ما ينفعهم ويحذرهم ما يضرهم بل يتركهم هملا بمنزلة الأنعام السائمة فمن
زعم ذلك لم يقدر رب العالمين قدره ونسبه إلى ما لا يليق به تعالى فتعالى الله الملك
الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ثم أقام سبحانه البرهان القاطع على صدق
رسوله وأنه لم يتقول عليه فيما قاله وأنه لو تقول عليه لما أقره ولعاجله بالإ
هلاك فإن كمال علمه وقدرته وحكمته تأبى أن يقر من تقول عليه وافترى عليه
وأضل عباده واستباح دماء من كذبه وحريمهم وأموالهم وأظهر في الأرض
الفساد والجور والكذب وخالف الحق فكيف يليق بأحكم الحاكمين
وأرحم الراحمين وأقدر القادرين أن يقره على ذلك بل كيف يليق به أن يؤيده
وينصره ويعليه ويظهره ويظفره بأهل الحق يسفك دماءهم ويستبيح أموالهم وأولا
دهم ونساءهم قائلا إن الله أمرني بذلك وأباحه لي بل كيف يليق به أن
يصدقه بأنواع التصديق كلها فيصدقه بإقراره وبالآيات المستلزمة
لصدقه التي دلالتها على التصديق كدلالة التصديق بالقول وأظهر ثم
يصدقه بأنواعها كلها على اختلافها فكل آية على انفرادها مصدقة
له ثم يحصل باجتماع تلك الآيات تصديق فوق تصديق كل آية بمفردها